رَضَخَ زَوجي بَعد طولِ صِراعٍ أن يَستَدينَ لِنُسافِرَ هذا الصَّيفَ. أَخذتُ نَفَسًا عَميقًا وَأنا داخلَ مَعرَكَةٍ جَديدةٍ أعرِفُ نَتائِجَها سَلَفًا. كُنتُ خائفَةً أن تَشمَتَ بي جاراتي وصَديقاتي حينَ يُلغي زَوجي فِكرَةَ السَّفَرِ مِن أَجندَتِهِ. ـ هَلْ سافَرَت إحداكُنَّ إلى بَلجيكا أو ماليزيا؟ مُحتارَةٌ بَينهُما؟ كانَ يَومًا كَسيفًا حينَ جاءَت وَهي تَتَباهى بِالطَّقمِ وَتَتَعَمَّدُ بِمناسَبَةٍ أو دونَها إسقاطَ الشّيلَةِ والعَباءَةِ ليَظهَرَ الطَّقمُ مُتَرَبِّعًا على صَدرِها المَكشوفِ أكثَرَ مِنَ اللّازِمِ. كيفَ أَرُدُّ الصّاعَ صاعَين؟ لَو اشتَرَيتُ طَقمًا مِثلَها سَتَقولُ غارَت وَقلَّدَتْني؟. لا بُدَّ أن تَكونَ ضَربَتي شَيئًا مُختَلِفًا وَغَيرَ مَعهودٍ بِالنِّسبَةِ لِهؤلاءِ النِّسوَةِ الثَّرثارات. ـ مِن أينَ ياحَسرَتي؟ وانبَسَطَت قِلاعُهُ وَحُصونُهُ المَنيعَةُ أمامَ هَديريَ الكاسِحِ الّذي دَأَبتُ عَليهِ لَيلَ نَهارَ، ولكنَّ الّذي حَصَلَ أنَّهُ رَفَعَ الرّاياتِ البَيضَ والحُمرَ وكلَّ الألوانِ، لا أصَدِّقُ نَفسي!! كَم كُنتُ أَحلُمُ بِالسَّفَرِ البَعيدِ والتِّجوالِ حَولَ العالَمِ. أُشاهِدُ (دانيةَ الخَطيب) وقافِلَتَها في رِحلاتِها المُختَلِفَةِ فَأَعَضُّ أناملي قَهرًا وغيظًا، لماذا لاتَتَحقّقُ أَحلامُنا الكَثيرةُ؟ مُنذُ وَعَيتُ عَلى الدُّنيا وَأحلامي مَسروقَةٌ أو مبتورَةٌ. تَخَيَّلتُ زَوجَ المُستَقبَلِ غَنيًّا سَيَحمِلُني على كُفوفِ الرّاحَةِ فَإذا أنا خادِمَةٌ في بَيتِ أبيهِ الكَبيرِ. رَضيتُ بِهِ وَأَرَدْتُهُ زَوجًا يَصنعُ مِنَ المُتَعِ الصَّغيرَةِ أفراحًا كَبيرةً فَإذا بِهِ لايَعرِفُ شَرقَ الأرضِ مِن غَربِها. ـ سَعيدَةٌ ياحَبيبَتي؟ لَم أَكنْ أَرغَبُ في إشعارِهِ بِأنّهُ حَقَّقَ مُعجِزَةً. لم يَرغَبْ مَزاجي الرّائِقُ في فَكِّ رُموزِها كَعادَتي مَعَهُ. ما أجملَ السُّحُبَ البَيضاءَ! تَبدو كَنُتَفِ القُطنِ النّاعِمَةِ. هَل نَحنُ فِعلًا مُعَلَّقونَ بَينَ سَماءٍ وَأرضٍ؟! كُنتُ كالبَلهاءِ أُصَوِّرُ كلَّ شَيءٍ، ـ كَم مَضى مِنَ الوَقتِ؟ سَألتُهُ مُتَلَهِّفَةً. ـ ثلاثُ ساعاتٍ وأكثرُ. تَتَباهى بِجَمالِها الأخّاذِ وَطولِها الفارِعِ، خَطَفَت مَن مالَ لَهُ قَلبي مُنذُ صِغَري. مِن أَخواتِهِم وَأمَّهاتِهِمُ الدّاخِلاتِ والخارِجاتِ مِن بَيتِهِمُ الكَبيرِ. حتّى زَوجي لَم يُظهِرْ أيَّ شُعورٍ بِنَشوَةِ الانتِصارِ، بِأَنَّهُ فازَ بي مِن دونِ شَبابِ الحَيِّ، وأنَّهُ استَحقَّني بِجدارَةٍ كَما فَعلَ زَوجُ (عَلياءَ)، لَو كانَ فَعَلَها لَما جَعَلتُها نِدًّا لي في عَقلي وَحَياتي. كانَت تَتَعَمَّدُ زيارَتي دائمًا لإغاظَتي والنِّكايَةِ بي. طَلَبَ إلينا رَبطَ الأحزِمَةِ فَهُناكَ مَطَبّاتٌ هَوائِيَّةٌ. ـ هَل نَحنُ نَسيرُ في الشّارِعِ؟ مِن أينَ جاءَت هذهِ المَطَبّاتُ؟ ورَأيتُ المُضيفاتِ يَتَراكَضنَ لِتَهدِئَةِ الأطفالِ الّذينَ شَرعوا في البُكاءِ. عادَ صَوتُ قائِدِ الطّائِرَةِ يَدعونا للتَّمَسُّكِ جَيِّدًا. الرَّجُلُ الّذي يَجلِسُ أمامي بَدَأَ يَقرَأُ سورَةَ البَقَرَةِ مِن مُصحَفِهِ. بعضُ الرُّكّابِ بَدَؤوا يُسَمّونَ وَيُحَوقِلونَ . وَزَوجي يُرَدِّدُ الشَّهادَتَينِ وَيَقرَأُ آيةَ الكُرسيّ. اهتَزَّتِ الطّائِرَةُ اهتزازًا أقوى مِنَ المَرَّةِ السّابِقَةِ. وَنحنُ الآنَ بَينَ سماءٍ وَأرضٍ في عُلبةٍ حَديديَّةٍ. تَتَمايَلُ كَسَفينَةٍ وَرَقيَّةٍ في بِركَةِ ماءٍ. رَكِبَ الخَوفُ صَدري والتَصَقَ بِضُلوعي. ماذا لَو؟ ماذا لَو كانَ هذا آخرُ المَطافِ؟ طارَ لَونُ وَجهي، قَرَأتُ الخَوفَ والذُّعرَ عَلى وَجهِ زَوجيَ الّذي أَمسَكَ بِيَدي، أَمسَكَ بيَ الذُّعرُ وَقَلَّبَني كَيفَ شاءَ. لَيتَني ماتَكاسَلتُ عَن صَلاةِ الفَجرِ حتّى خَرَجَ وَقتُها. يَقولونَ إنَّ روحَ المَيتِ المَدينِ لاتَصعَدُ إلى سَماءِ رَبِّها، فَدُيونُهُ تُكَبِّلُهُ وَتُقَيِّدُهُ حَتّى لَو كانَ شَهيدًا. واحتَمَلَ سَلاطَةَ لِساني وَقِلَّةَ عَقلي. وَفَعَلَ مِثلَ مافَعَلَ أبي بِأُمّي حينَ عانَدَتْه، تَذَكَّرتُ يومَ نَهَرتُ جارَتَنا الأرمَلَةَ وَوَصَمتُها بأقبَحِ الصِّفاتِ حينَ جاءَت تَطلُبُ مُساعَدَةً مِن زَوجي. «مَنْ كانَ آخرُ كلامِهِ لا إلهَ إلّا اللّهُ دَخَلَ الجَنَّةَ » هَل سَأدخُلُها؟ وَذُنوبي؟! وَأفكاري الشّيطانِيَّةُ؟! سَمِعتُ خَطيبَ الجُمُعَةِ يَقولُ: إنَّ رَحمَةَ اللّهِ واسِعَةٌ. السَّيِّدَةُ الّتي تَقبَعُ خَلْفي أَقسَمَتْ أ لّا تَركَبَ طائِرَةً أبَدًا. كانَ خائِفًا عَليَّ وَظَلَّ يَرْقيني بِآياتِ اللّهِ وَيُهَدِّئُ مِن رَوعي. لا يَزالُ بَعضُ القَلَقِ والخَوفِ يَسري في أَوصالي. وُصولُنا لِماليزيا سَيَكونُ في السّاعَةِ السّادِسَةِ صَباحًا. أَخَذَت عَجلاتُها تَنزَلِقُ عَلى أرضِ المُدَرَّجِ الواسِعِ حتّى استَقَرَّت. كُنتُ أَسبِقُ زَوجي في النُّزولِ وَمُعانَقَةِ هَواءِ المَدينَةِ الغافيَةِ في مِثلِ هذا الصَّباحِ النَّظيفِ. انتَقَلنا بِواسِطَةِ القِطارِ لِلجِهَةِ الثّانيةِ مِن المَطارِ. كانَت عَينايَ تَجوبانِ المَكانَ شَمالًا وَجَنوبًا بَحثًا عَن غايتي. انطَلَقتُ نَحوَ كَبينَةِ الهاتِفِ العُموميّ. كانَ اللّهُ في عَونِكُم وأنتُم تَتَلَظَّونَ في الحَرِّ. كانَت رِحلَةً مُمتِعَةً.

lakhasly.com © تم تلخيص النص بواسطة موقع لخصلي